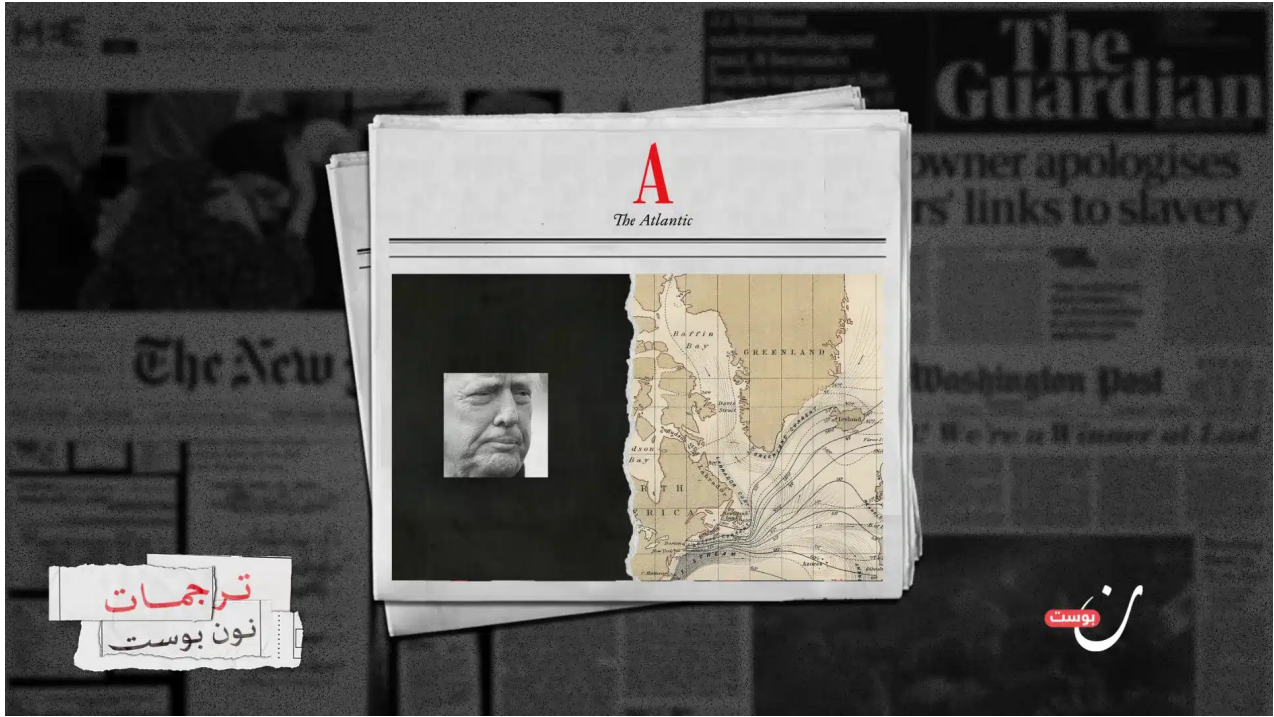


عقيدة ترامب و"هوس غرينلاند": هل هو جنون أم منهجية عقلانية؟



ترجمة وتحرير: نون بوست

يقف القادة الأوروبيون في حيرة، وهو أمر مفهوم، لكنه غير مبرر، إزاء تهديدات دونالد ترامب بالاستيلاء على غرينلاند بالقوة، واستخدام الرسوم الجمركية لمعاقبة أي طرف يعترض. الأمر مفهوم، لأنه لم يسبق لأي رئيس أن تصرف بهذه الطريقة، لكنه غير مبرر، إذ أن حُلا واضحًا، وإن كان غير محبوب، يكمن أمام أعينهم.

لو قامت الدول الأوروبية بنشر 5,000 جندي مجهزين بصواريخ مضادة للطائرات والسفن في غرينلاند بشكل دائم، مع أوامر بالقتال ضد أي جندي أمريكي غازي حتى آخر طلقة، فلن يأمر ترامب المظليين أو مشاة البحرية بمهاجمة تلك الأرض المتجمدة؛ فعدد القتلى سيكون فادحًا. وإذا كانت هذه الدول مستعدة لفرض عقوبات اقتصادية مماثلة، كحجب وصول الشركات الأمريكية إلى اقتصاد أوروبا، ثالث أكبر اقتصاد عالمي، فإن ترامب سيتراجع عن تهديداته فورًا، ولكن مثل هذه السياسات تتعارض مع طبيعة القارة التي، كما وصفها المؤرخ العسكري البريطاني مايكل هوارد، «مهزومة»، لكنها الواقع الذي يعيشه الأوروبيون اليوم.

رغم أن حلقة غرينلاند تحمل في طياتها قدرًا من الخزي والفضيحة، إلا أنها يجب أن تُقرأ في سياق مغامرات ترامب الأخرى في السياسة الخارجية، من القبض على نيكولاس مادورو في عملية عسكرية مفاجئة في فنزويلا، إلى قصف البرنامج النووي الإيراني، ومحاولة إعادة بناء وتوجيه غزة المدمرة، والعلاقات المتقلبة مع كل من فلاديمير بوتين وفولوديمير زيلينسكي، وصولًا إلى تهديدات الرسوم الجمركية التي تتحول لاحقًا إلى مجرد رسائل رمزية مع الصين.

ورغم ما يبدو عليه الرئيس من تقلبات صاخبة، تظل الرؤية العالمية على طريقته قابلة للفهم، بل ويمكن في بعض جوانبها التنبؤ بها.

ترامب رجل جاهل؛ فهو، على عكس العديد من الدكتاتوريين المحتملين أو الفعليين، لا يقرأ الكتب ويجد

صعوبة في كتابة أكثر من بضع جمل على وسائل التواصل الاجتماعي، وغالبًا بشكل سيئ. لكنه يدرك بعض الحقائق بالفطرة، ويجب منحه الفضل فيها، لأنها تشكل أساس سياساته وليست نتيجة للغباء.

لقد تم إهمال غرينلاند من قبل الدنمارك، ومنذ الحرب الأهلية الأمريكية، كانت الولايات المتحدة تتوق إليها. كما كان البرنامج النووي الإيراني تهديدًا إقليميًا وعالميًا إلى حد كبير، وبعد أسبوع ونصف من تهينة إسرائيل له، أصبح عرضة لضربة واحدة قوية. لقد أنفقت أوروبا منذ فترة طويلة أقل من اللازم على الدفاع، وحيث لم تنجح جهود الإقناع الأمريكية لعقود، نجحت الضغوط المباشرة.

إن الميزة السياسية الداخلية لترامب تكمن في غرائزه الوحشية لاستغلال نقاط الضعف، وهي سمة تميز معظم الأنظمة الاستبدادية. هذه الغرائز تكون أقل ثباتًا في الشؤون الدولية، لكنها تحدد بشكل واضح طريقة نظره إلى العالم. مع صورة عن القوة الصناعية والعسكرية الأمريكية تعود إلى عصور مضت، يمتلك ترامب ثقة هائلة في قوة بلاده، ويفترض بالتالي أن الترهيب أفضل من التفاوض، إلا إذا كان الخصم صلبًا وقويًا بقدر نفسه، حتى وإن كان أقل قوة جسدية.

إنه يعرف تمامًا ما يكرهه في السياسة الخارجية؛ التعددية الضعيفة والمتردة لإدارة بايدن، وخضوعها للحلفاء المتكاسلين، وضعفها في الانسحاب من أفغانستان. كما يحتقر الضجيج حول القيم الليبرالية والديمقراطية، والالتزامات العسكرية طويلة الأمد لإدارة جورج دبليو بوش.

وفي الواقع، على الرغم من أنه لا يستطيع تجاوز جو بايدن - نتيجة انعدام الأمان الشخصي والمظالم المتعلقة بانتخابات 2020 والملاحظات القانونية المختلفة منذ ذلك الحين - إلا أنه، من منظور السياسة الخارجية، يعادي جورج دبليو بوش بقدر ما يعادي بايدن. كما يحتقر تقديس اتخاذ القرارات المدروسة، والتشاور مع الخبراء، والاستعداد لممارسة الدبلوماسية التقليدية التي تميز كلا الإدارتين. ويرى أن الحديث عن القيادة الدولية، ناهيك عن ممارستها، ليس سوى كلام فارغ.

وقبل كل شيء، يمتلك ترامب ثلاثة أدوات رئيسية في السياسة الخارجية: الرسوم الجمركية والعقوبات الاقتصادية المشابهة، وحملات القصف القصيرة، وعمليات الكوماندوز الخاصة. وليس لديه أي صبر على المعارك الدامية، ولهذا لن يأذن بحملة برمائية في القطب الشمالي تواجه مقاومة حقيقية. وعندما يشع في التفاوض، يعتمد على أصدقاء مثل ستيفن ويتكوف وأفراد عائلته مثل جاريد كوشنر، الذين قد يمتلكون رؤية لصفقات مربحة تعود بالنفع على الولايات المتحدة وأقاربه وأصدقائه المقربين. وفي نظره، لا شيء خاطئ في سياسة خارجية مدفوعة بالخشع.

السياسة الخارجية عند ترامب تشبه لعبة داما تُلعب خطوة خطوة، فهو لا يمتلك الطبع اللازم للشطرنج. أما مفهوم الضرر على السمعة، فهو غريب عليه تمامًا، فهو شخص تلطخت صورته منذ زمن بعيد بشكل شبه مستحيل إصلاحه نتيجة الاحتيال والكذب والترهيب والخداع. ولا يبالي بثمن ما قد يدفعه المتظاهرون الإيرانيون، أو حتى الولايات المتحدة، مقابل وعد بالمساعدة ثم تجاهله بادعاء أن النظام الإيراني توقف عن قتل الناس (وهو لم يتوقف، بل يفعل ذلك بطريقة يمكن لترامب الادعاء بأنه لا يراها).

لو كان ترامب لاعبًا للبوكر، لكان يعتمد على المخاتلة والتمويه في نصف وقت لعبه. بيد أن الألعاب قد تكون استعارة خاطئة لفهمهم؛ فما لم يكن في مواجهة شي جين بينغ أو ربما فلاديمير بوتين، فإنه يجد صعوبة في استيعاب فكرة أن الآخرين إرادة وقدرة على الفعل. وفي عام 2015، وصف لي سياسي رفيع المستوى كان يعرف ترامب جيدًا عشاءً صغيراً حضره في منتجع مار ا لاغو؛ حيث قام ترامب بطلب الطعام لكل ضيف من ضيوفه، فمن وجهة نظره، كانت قائمة الطعام ورغبات المدعوين محض تفاصيل لا قيمة لها.

وهاتان الصفتان الأخيرتان تفسران العديد من إخفاقاته حتى الآن، والمزيد لا يزال قادمًا. فاللاعبون في الشطرنج الذين يفكرون خطوة واحدة فقط إلى الأمام يخسرون بلا استثناء؛ والدول والشعوب، حتى الصغيرة منها، تمتلك إرادة ووكالة خاصة بها. وليس هذا فحسب، بل يمكنهم قراءة ترامب، والسؤال الوحيد هو ما إذا كان لديهم الجرأة والكفاءة لمواجهة بشجاعة، أو الذكاء للمراوغة والتفوق عليه.

فعلى سبيل المثال؛ وضع ترامب تركيا وقطر في مجلس السلام الذي يفترض أن يدير شؤون غزة، دون أن يكون هناك أي طرف، سوى الجيش الإسرائيلي، مستعد فعليًا لمواجهة مسلحي حماس. هذا التحرك أثار غضب الإسرائيليين بشدة، إذ أن وجود دولتين تعارضان موقف تل أبيب في هذا الدور يثير اعتراضات واسعة، ويتوقع أن يرضخوا رسميًا بينما يقوضون الجهود سرًا.

ويرى ترامب نفسه قادرًا على إدارة فنزويلا عن بُعد، لكن رئيس شركة إكسون موبيل أبلغه مؤخرًا أن إعادة بناء صناعة النفط هناك لن يكون ممكنًا ما لم تتحقق قاعدة من حكم القانون والأمن المعقول.

وفي الوقت نفسه، يواصل تهديداته لكندا، فيما يطير رئيس الوزراء مارك كارني إلى بكين في زيارة تستهدف تعزيز العلاقات الدولية وسط جمود دبلوماسي مع واشنطن.

كما كان من المفترض أن يخضع فولوديمير زيلينسكي لرغبات ترامب، لكن الأوكرانيين، بمساعدة من أوروبا، نجحوا ببراعة في تحويل ما كان يُفترض أنه اتفاق لإنهاء الحرب مع روسيا إلى اقتراح يتعد عنه بوتين دون قبوله.

إن وجود رئيس يدير السياسة الخارجية بهذه الطريقة – الذي يحلم بأسطول من السفن الحربية المسماة باسمه، وقبة ذهبية بمقدار المكتب البيضاوي تمتد فوق أمريكا الشمالية، ويعتقد أنه قادر على إعادة تسمية خليج المكسيك وأن الاسم سيبقى بعد مغادرته منصبه – أمر مخيف بلا شك. ومع ذلك، هناك بعض الطمأنينة أيضًا.

في السياسة، الجاذبية لا تزال تعمل؛ فالرجل الذي دخل عقده التاسع يفقد تدريجيًا طاقته وقدرته على التحمل، ولهذا يغفو ترامب في الاجتماعات. وقد استبعد من الدائرة الداخلية جميع الفاعلين عدا الموالين له، ولذلك يسمع فقط نسخته من الحقيقة. ويواجه احتمال خسارة مجلس النواب، على الأقل، خلال عام.

وتظهر شقوق صغيرة تنتشر بوضوح في التحالف غير المتماسك الذي لم يستطع أحد سواه خلقه، حتى أن الشعبويين بدأوا يشعرون بالقلق من البلطجة الفاضحة لتيار القميص الأخضر المقنع بقيادة كريستي نويم.

وفي الواقع، قد يجد نفسه مضطرًا للتعامل داخل البلاد مع تمردات دموية من النوع الذي كان يأمل في تجنبه في الخارج، إذا استمر في السماح لستيفن ميلر بالضغط من أجل الاعتقالات العشوائية للمهاجرين، أو مجرد الأشخاص الذين يتحدثون الإسبانية أو ذوي البشرة السمراء، وخلفاؤه يتزاحمون بالفعل للانفراد بالمشهد السياسي بعده.

هذه الحقبة ستترك آثارًا دائمة على السياسة الخارجية الأمريكية. قد يبدو عهد ترامب الأول صدفًا، لكن عهدين سيقنعان بالتأكيد الكثيرين في الخارج بأن الولايات المتحدة أصبحت دولة غير موثوقة، بل وخطيرة أيضًا. ومع ذلك، فإن بروز عالم جديد أكثر صفقات وأقل سلمًا هو أمر لم يخلقه ترامب، بل سرّعه فقط. ومن المتوقع أن يقوم خلفاؤه، الذين نأمل أن يكونوا أكثر حكمة وحرصًا، بإعادة تسمية خليج المكسيك باسمه الحقيقي، وإزالة اسم ترامب من المعهد الأمريكي للسلام.

والأهم من ذلك، سيحتاجون إلى إيجاد طريقة لاستعادة قدر من الكياسة والحكم الرشيد والقيادة الدولية بعد رحيله؛ إعادة بناء سمعة أمريكا ستكون للأسف عمل جيل كامل. وقد حدثت مثل هذه

التحولات من قبل – في الأربعينيات والثمانينيات، على سبيل المثال. فلنأمل أن تتكرر مرة أخرى. المصدر: ذي أتلانتيك

رابط المقال: <https://www.noonpost.com/353521/>